



نقد

كتب الأخ الفاضل الأستاذ سلامة موسى في مجلة اللطائف (٨ إبريل سنة ١٩٤٠) كلمة يتعجب بها كلامنا في (الفن الفرعوني ، وتمثال نهضة مصر) المنشور في عدد الرسالة ٣٤٥ في ١٢ فبراير سنة ١٩٤٠ ، وجعل عنوان نقده « تعارض التيارات الفكرية ، وضررها على التطور الاجتماعي والثقافي » وسنلخص لك نقده ثم نبعه ببعض ما يجب علينا من تحرير رأينا ، وتقدير رأي الأستاذ الفاضل ، يقول : إن الأنكار تتعارض في كل أمة حرة ولكنه لا يخرج بها عن أسلوب الحياة العامة من التوافق إلى التناقض والتنافر ، فيفضي ذلك إلى اختلال التوازن الاجتماعي ، فيمتاق الأمة عن الرقي والإصلاح . ويقول : إن بعض الآراء في مصر ليتناقض كما يكون التناقض بين أمتين متخالفتين ، وإن (العقلية المصرية) التي تفكر بها مصر في أنظمتها الاقتصادية ، والثقافية ، والاجتماعية ، والتعليمية ، والحربية : هي ضرورة الوضع الجغرافي والاحتكاك السياسي بأوروبا ، وإنما لا نبش فقط في القرن العشرين ، بل في سنة ١٩٤٠ من هذا القرن . ويقول ما نصه :

« ونستطيع أن نضرب الأمثال على هذا الاختلاف الذي يقارب التنافر . فقد ألف الدكتور طه حسين بك كتاباً يدعو فيه إلى أن نجعل من الفن الفرعوني أحد العناصر في « الغذاء الروحي والعقلي للشباب » فتناول هذه الدعوة الأستاذ محمود محمد شاكر بالاستنكار حتى قال في مقاله بالرسالة : وعلى ذلك ، فيجب أن نقرر أن الفن المصري الفرعوني — على دقته ، وروعته ، وجبروته — إن هو إلا فن وثني جاهلي قائم على التهاويل ، والأساطير ، والخرافات التي تمحق العقل الإنساني ، فهو إذن لا يمكن أن يكون صفة أخرى في أرض تدين بدين غير الوثنية

الفرعونية الطاغية — سواء أكان هذا الدين يهودياً أم نصرانياً أم إسلامياً أم غير ذلك من أشباه الأديان ... » ثم استمر فنقل بعض رأينا في الذي قلناه عن تمثال نهضة مصر وهذا تعارض عجيب ، كما يرى الأستاذ سلامة موسى ، واختلاف في التيارات الفكرية يحمله على أن يدعو الاجتماعيين أن يحاولوا التوفيق بين هذه الآراء حتى لا يصير اختلاف الرأي الحر تناقضاً في المقائيد المجزومة ، وحتى تصبح أمة متمدنة تستطيع أن تنصت إلى الرأي المخالف في تسامح وأن تعبر عنه في اعتدال بنأى عن الحدة والتهور ثم يقول الأستاذ الفاضل إنه يتوهم مما كتبت أنه الدكتور طه أو المثال عتار يريدان منا أن نمحط الموت ونعبد (رع) مع أن حقيقة ما طلبه كل منهما أن نستوحى هذا الفن المصري القديم . ثم يقول عني وعن الدكتور طه : « إن الاختلاف بين الكاتبين هنا يرجع إلى أكثر من ذلك ، وهو أشبه بالتنافر بين القائلين بعقيدتين متناقضتين ، ومصلحة الأمة تقتضي إزالة هذا التنافر بين الذين يكفون هذه المهمة ، وكل رجل مثقف يهتم بالانسجام الاجتماعي في الأمة »

وهذا نهاية الرأي في كلام الأستاذ سلامة موسى نقلنا أكثره بنصه أو ما يقرب منه . ونحن نشكر الأستاذ سلامة موسى على حسن مقصده ورغبته في تحقيق الإصلاح الاجتماعي بإزالة كل العوامل المفرقة بين الناس

التيارات الفكرية

ومن الغريب أن اليوم الذي صدرت فيه هذه المقالة في اللطائف ، هو نفسه اليوم الذي كتبنا فيه عن « الرأي للعام وسياسته » في العدد الماضي من الرسالة ، وقلنا إن تعدد الثقافات في الشعب الواحد قد أفضى إلى شر آثاره ، حيث تنابذت العقول على المعنى الصحيح ، واختلفت المناهج المؤدية إلى الغايات ، وكذلك يبق للشعب إلى النهاية وهو في بدء لا ينتهي ، وفي اختلاف لا ينفص . وكما يرى الأستاذ سلامة موسى أن هذا التناقض البين بين الآراء بما يمتاق رقي الشعب ، وينممه من الاجتماع على رأي ، ويجرمه فضيلة القوة التي تنفذ به إلى غايته ... كما يرى نحن نرى ، ونرى وراء ذلك كله ما هو أسوأ وأقبح . مما يستماذ منه ونحشي مبعثه . فهذا إذن أمر مفروغ من تقريره

بيننا وبينه ، وهى رغبة تتوافى جميعاً على العمل لها ، ونشـري أنفسنا فى سبيل إنفاذها

وكان جديراً بالاستاذ سلامة موسى أن يرى مثل هذا الرأى فى الذى كتبناه ، وبـعلم علم ما طويناه فى نقدنا للرأى الدكتور مطه ، ولمـله لم يقرأ كل ما كتبناه فى العدد ٣٤٤ ، ٣٤٥ من الرسالة ، ولمـله لم يتبـح ما نقول به من الرأى فى باب « الأدب فى أسبوع » ، ولو قد قـمـل لعرف أن الرأى بيننا وبينه فى ذلك غير مختلف إن شاء الله

القرن العشرين

وما دمنا فى حديث تمارض هذه التيارات الفكرية ، فقد كنت أحب أن ينزه الأستاذ سلامة موسى كلامه عن بعض التمريض ... وذلك تنبيه لنا أننا نعيش فى القرن العشرين ، وفى سنة ١٩٤٠ منه . فهل يظن الأستاذ أننا نعيش فى غيره أو أننا نرى أنفسنا ربحاً تاريخية عتيقة قد انبثت فى أجلاـد إنسان (القرن العشرين) ؟

... الزمن لا يكون هو اللمة فى إنشاء الحضارة ، وإنما تستجد الحضارة بالروح الإنسانية وبالإنسانية الروحية ، وإنما الزمن وحدوده تبع للإنسان الحى ، ولا يكون الإنسان تبعاً للزمن إلا حين تفقد الروح إنسانيتها المالية ، وتفقد الإنسانية روحانيتها السامية ... وترتد الحكمة والحضارة والتهديب وجميع الفضائل إلى منزلة الغرائز الدنيا التى تصرف المجاوات من الأحياء فى سبيلها ، وعلى سننها ، وبفانونها ، ومن مدارجها النازلة إلى أغوار الحيوانية الفطرية

إن من أخطر التيارات الفكرية التى تهاوى فيها أكثر كتاب القرن الماضى ، والمخفرمون من كتاب القرن العشرين اعترافهم بالقرن العشرين وما فيه اعترافاً (تمسدياً) يكاد يكون إيماناً وعقيدة ، فاقنع منه بالبرهان والحجة فهو يبرهانه وحجته ، وما لم يقنع فهو مردود إلى الأسرار الأولية للحضارة ، وأنه هكذا كان ... وأنه هكذا خلق ، وأنه ما دام موجوداً فى حضارة القرن العشرين ، فوجوده هذا هو برهانه وحجته ... !!

وأنا — مع الأسف — لا أعتقد فى هذا القرن العشرين اعتقاداً قلبياً مطمئناً بالإيمان ، لا لأنى أريد أن أرد إلى الماضى

لأعيش فى ظلماته وكهوفه وتهاويل خرافاته ، بل لأنى أرى أن حضارة الإنسانية يجب أن تتجدد بمبادئها النبيلة السامية التى كل أجزائها فضائل . أما هذه الحضارة الأدبية المصرية للقرن العشرين ، فهى حضارة حيوانية الفضائل ، ليس فى أعمالها إلا فتنة بمد فتنة . ولا نقول هذا فى العلم — معاذ الله — فإن العلم الحاضر قد استطاع أن ينفذ فى بعض أسرار الكون بأسباب كأسباب المعجزات ، ومع ذلك ، فقد كان هذا العلم نفسه ، هو ما اتخذوه تدليلاً فى تمجيد حضارة القرن العشرين ، ليفتقروا للناس بها عن حقيقة الإنسانية الروحية المتجردة من أغلال الحيوانية النازلة المستغلة

الحرب

وبكى أن تكون هذه الحرب التى أحدثت أنيابها ونشرت مخالبها ، وزارت زئيرها ، ثم أسبابها التى نشأت عنها من الطامع الاستعمارية المستكبة الضارية ، ثم ما سيكون من آثارها فى الأرواح الإنسانية والمدنية الروحية ... بكى أن تكون هذه الحرب — من جميع نواحيها وأطرافها ، وبجميع خلائها وزمن هذه الخلائق — توصف كتوصيف الفجور الأسود فى الأعراض النقية البيضاء

هذه الحرب للفاجرة التمرية من جميع الفضائل برذيلة الكذب والخداع مما يسمونه الدعاية والسياسة — هى البرهان الحى فى أذهاننا جميعاً — أهل القرن العشرين ، على أن مدنية هذا للقرن ، مدنية حيوانية الأصول والفروع ، هى مدنية مقترسة متوحشة ، لا تعترف بالحق ولا تعرف الحق ، وليس إلا ... الغناء الغناء ... الصيد الصيد ... : هذا نداؤها وهذا دينها وهذا إيمانها . ثم لا تكون مثبته أعمالها إلا تمزيقاً وقصفه وقصفاً ، وتدميراً لبنيان الله الذى يسمى « الإنسان »

الحرية !!

إن هذا القرن العشرين أسطورة مهولة قد انحدرت من القدم إلى هذا الزمن ، فى دماغ كل الأساطير الحيوانية المرحفة فى تاريخ الإنسانية . إنه أسطورة عظيمة كاذبة مكذبة على الناس ، وإن فى مدنيته من الباطل ميل هائل حقاً . إن الأجيال

تحرير أعمالنا من قيود الماضي والحاضر مما على أساس من العقل والعلم والفضيلة ، فلا يُزري عندنا بالقديم قدمه ، ولا يُرغبنا في الجديد جدته . وإن القول في (التقديم والجديد) على إطلاق اللفظ ، وجعله لفظاً تاريخياً زمنياً محصوراً باليوم والسنة ، إن هو إلا تلذذ بالكلام كما يتمطق آكل العسل بعد أكله من تحلب الريق وشهوة الحلو ، ولو كان في هذا للعسل للسم للناتج

إن حديثنا عن الفن الفرعوني ، وأنه لا يصلح أن يكون شيئاً يستمد منه الفنان في زماننا ، لا يمت بصلة إلى الرأي الذي ذهب إليه الأستاذ سلامة موسى في فهم كلامنا ، لأننا نظرنا إلى شيء واحد ، وهو تحرير الفن من التقليد ، ثم معرفتنا أن للفنان لا يستوحى كما يقول الأستاذ سلامة من فنون غيره . بل إن الفنان عندنا هو القلب النابض الذي يقضي إليه الدم الحي الذي تعيش به حضارة أمته في عصره ، والفن إن هو إلا نتيجة من نتائج الاجتماع الإنساني والطبيعة التي تحتضنه ، والمقائد التي تسيطر على الشعب وتملأ قلبه بالإيمان بها والفكر فيها ، فإذا لم يكن للفن ناشئاً من كتم ، فاعلم أنه ليس بفن وإنما هو كذب مضرّج يتحاسن قوس قزح ، وما أسقط الفن الرفيع في زماننا وفي بلادنا إلا أنه نتاج للمقول المزيفة بالتقليد ، والخيال المدلس بالسرقة ، وهذا المميج الهامج من الفنانين والأدباء والشعراء والعلماء أيضاً ممن يعيشون بأدواتهم تحت جناح الليل الأسود وفي ستره ، ثم يقبلون على الناس إذا أصبحوا فيقولون : أين كنتم ؟ يقولون : كنا نستوحى ، ثم يخدعون الناس بزيفهم وبهرجهم . لأنهم لا يعلمون من أين يأتي هؤلاء هذا الوحي ...

ولو علموا أننا وحيهم وحى اللص الذي يبدع له المال ، وإنما هو ديب واستخفاء وحرص ، و «طفاشة» تهتم بها أقفال خزائن بعض الناس ، يستخرجون كنوز غيرهم ليتنبأوا بزيتها وجمالها الحرية هي أصل الفن كما بينا ، وكما هو ظاهر كلامنا ، وأما الاستيعاء من فنون القدماء لإنتاج فن لا يتصل بحديثنا بسبب إلا القدم والوراثة وتاريخ هذه الأرض ، فهو لإبطال للفن ومعنى للفن وقيمة للفن ، وإلا فالذي فعله الأستاذ المثال التقدير «مخنار» إلا أن نقل صورة لا معنى لها في عقائد الشعب المصري الحاضر ، هي صورة أبي الهول ، وليس فيها معناه القديم الباسط ذراعيه في جوف رمال الصحراء هناك ، ثم ماذا ؟ ثم جملة مغمياً

الإنسانية النبيلة لتصرخ من وراء أسوار التاريخ تريدنا أن ننقذ أنفسنا من أوهام (القرن العشرين) ، ومن خرافاته الجلية المزينة بالعلم ، الشيرة باللذة ، المتدلية بألسنة من نيران الشهوات والأهواء ، المصاحبة بعبادة الأوثان التي تجول في أدمغة البشر حاملة نداهم ويخورها ومجاسرها وطبيها ، وكل ما ينفذ عطره إلى أعماق الإحساسات يثيرها لتقدس البشرية المتجسدة بلذاتها وشهواتها يجب — في هذا الزمن — أن نتحرر من أباطيل للقرن العشرين وأباطيل القديم معاً ، يجب ألا نعرف الحاضر بأنه هو الحاضر وكفى ، ولا الماضي بأنه هو الماضي وحسب ، يجب ألا نتعبد بشيء من كليهما ، يجب أن نأخذ الحاضر والماضي بالعقل والعلم والفضيلة ، وما لم يكن كذلك مما مضى ومما حضر فهو نبذ يجب أن ننبدّه ونتجاف عنه ، يجب أن نتحرر ، يجب أن نتحرر ...

إننا الآن أمة تريد أن تسير إلى غايتها في إشباع حضارتها التي سترث جميع الحضارات التي سبقتها ، والحضارة التي تأتي من التقليد ليست حضارة ، وإنما هي تزيف وكذب ووثنية جاهلية تنحدر إلى هذا الزمن عن السلالات التي قال الله فيها : « وإذا قيل لهم : اتبعوا ما أنزل الله ، قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، أولو كان آباؤهم لا يقولون شيئاً ولا يهتدون ! » لن نبلغ شيئاً حتى تكون (الحرية ، والحب) تقيمين طاهرين مبرّين كاملين متواضعين ، فهما القوة التي تسير بهما الحضارة إلى مجدها وروائعها . إذا عرفنا الحرية وجرت في دمائنا فيومئذ تهدم كل هذه الأباطيل التي تموقنا وتقف بين أيدينا من قدامات الرذائل الإنسانية التي قذفت في طريقنا من أباطيل الماضي وترهات للقرن العشرين !!

الفن الفرعوني

والأستاذ سلامة موسى قد بنى نقده على ما يسميه (المقائد الجزومة) ، وعلى عقيدته في (القرن العشرين) ١١ ونحن — مع الأسف — لا نبنى أبداً كلامنا على (المقائد الجزومة) ، ولا على التعمص (للقرون العشرين) ، ولو رجع الأستاذ إلى المغالين اللذين نشرناهما في الرسالة عدد ٣٤٤ و ٣٤٥ عن محاضرة الدكتور طه ، ولو رجع خاصة إلى حديثنا عن (الفن) ما هو ، وكيف هو ؟ وعن الفنان وعمله في فنّه — لعرف أن دعوتنا كلها مبنية على